أثر القرآن الكريم في التشكيل البياني لخطب الامام الحسن (عليه السلام)

أ.م. د خالد جعفر مبارك

دكتوراه / بلاغة وأدب إسلامي

المديرية العامة لتربية ديالى

موبايل/ 07710307440

dkhaldalmhdawy@gmail.com

المفتاح(القرآن، التشكيل ، الامام الحسن)

المقدمة

يعدُّ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام من اهم منابع الثقافة الاسلامية ومصادر الفكر الخلّاق الموروث من آل بيت النبوة ، فكلامه سلام الله عليه قمة في البلاغة والفصاحة وكيف لا وقد نشأ في بيت زقَ منه العلم زقا صدرت البلاغة وآبت أليه الفصاحة كما يقول اميرها وقائدها عليه السلام (وانّا لأُمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه).

كان أكثر ما إنماز به الإمام الحسن عليه السلام في كلامه هو حضور النص القرآني في ذهنه وقدرته على اجتلاب صوره وتمثل معانيه ، وليس ذلك بالأمر الهين اليسير ، لأن المعاني القرآنية جديدة كل الجدة على العقلية العربية والثقافة السائدة وقتذاك مثل موضوع الذات المقدسة وصفاتها وقضايا المعاد والثواب والعقاب والعالم الآخر والجنة والنار وقضايا التشريع الأخرى ، ولست أشك في أنها تشغل ذهن المتكلم الذي ينشد الفن والتأثير لأنها ليست ذائبة في نفسه ولا يستطيع تمثلها بالنفس القرآني ذاته ، ولأنه لا يزال بعد منشدا إلى الثقافة الجاهلية القديمة والتي هي بالوقت نفسه ليست ببعيدة العهد عنه ، فمشكلة الأديب في عصر النبوة وما تلاه أنه أراد تأدية المعاني الإسلامية الجديدة تأدية فنية بالموروثات اللغوية الجاهلية ذاتها التي أجاد بها في الطلل وبكاء الحبيبة والتغني بالبطولة والحماسة ، وهنا كمن سر إخفاق الأديب العربي في هذه المدة من عمر الإبداع اللغوي غير المتناسب وعظمة التأثير القرآني ، وهنا أيضا بان سر عظيم من القدرة الإبداعية المتميزة لكلام الامام الحسن عليه السلام .

ولأهمية هذا الموضوع ودقته ارتأينا الى تقسيم بحثنا الى مقدمة ومدخل يوضح مصطلح التشكيل، ومن ثم دراسة الموضوع من خلال ثلاثة محاور تناولنا في الأول التشبيه وتشكيلاته في خطب الامام الحسن غليه السلام ،وفي الثاني الاستعارة وتشكيلاتها في خطب الامام الحسن عليه السلام ، وفي الثالث الكناية وتشكيلاتها في خطب الامام الحسن عليه السلام ، تتبعها خاتمة ونتائج البحث وقائمة بأهم مصادر 0

الملخص

يهدف البحث الى رصد حضور النص القرآني في ذهن الامام الحسن عليه السلام ، وقدرته على اجتلاب صوره وتمثل معانيه في خطبه الشريفة ، حتى نستطيع الاجابة على عدة اسئلة منها : هل للقرآن أثرٌ في رفع القدرة البيانية للإمام الحسن عليه السلام في خطبه الشريفة ؟ وهل كان له دور بارز في توسيع افقهم، وتزويدهم بالحجج المقنعة، والادلة المشرقة ؟ 0 وهل ساهم في اضفاء صفات عامة على خطب الامام الحسن عليه السلام متمثلة بوضوح العبارات وبلاغتها وعذوبة الالفاظ وفصاحتها ؟ 0

لذلك سوف نقوم بدراسة الموضوع من خلال ثلاثة محاور ، تناولنا في الأول التشبيه وتشكيلاته في خطب الامام الحسن غليه السلام ، وفي الثاني الاستعارة وتشكيلاتها في خطب الامام الحسن (عليه السلام) ، وفي الثالث الكناية وتشكيلاتها في خطب الامام الحسن عليه السلام ، تتبعها خاتمة ونتائج البحث وقائمة بأهم المصادر 0

Summary

The research aims to monitor the presence of the Qur'anic text in the mind of Imam Hassan, peace be upon him, and his ability to attract its images and represent its meanings in his honorable sermons, so that we can answer several questions, including: Does the Qur'an have an effect in raising the rhetorical ability of Imam Hassan, peace be upon him, in his honorable sermons? Did he play a prominent role in broadening their horizons and providing them with convincing arguments and bright evidence? 0 Did he contribute to giving general characteristics to the sermons of Imam Hassan, peace be upon him, represented by the clarity and eloquence of the expressions, and the sweetness and eloquence of the words? 0

Therefore, we will study the subject through three axes. In the first, we dealt with simile and its formations in the sermons of Imam Hassan, peace be upon him. In the second, metaphor and its formations in the sermons of Imam Hassan, peace be upon him. In the third, metonymy and its formations in the sermons of Imam Hassan, peace be upon him, followed by a conclusion, the results of the research, and a list of the most important. sources

التمهيد

مصطلح التشكيلُ

التشكيل في اللغة :التصوير والتمثيل ، وهذا ما تُجمع عليه كلّ المعجمات اللغويّة العربيّة التي تتناول هذا المصطلح – لغةً بالعودة إلى جذره اللغوي (شَكَلَ : تَشكِيل) [1]0

نستنتج من المفهوم اللغوي للتشكيل أنَّه يختص بالمظاهر الخارجيّة للشيء وهو من الفنون الجميلة الذي يُعنى بتشكيل الملامح الخارجيّة للمادة، ليس عبر تقليد هذه المادة الموجودة في الطبيعة وإنَّما بسبر أغوارها من الداخل ؛ لأنَّ الفن ، أو العمل الفني ((بناء عضوي قائم بذاته)) [2]، يتيح للمتلقي أن يعرف ما فيه ، وما حوله0

أما في الاصطلاح : فهو يدل على استكمال المعنى اللغوي للفعل و صيرورته و والارتفاع به نحو بلوغ حدّه التصويري ، والتعبيري الأقصى، فهو يسهم في تحرير النص المكتوب والمقيّد من خطّيته، ونقله إلى موقع التناول البصري بوصفه مستوى جديداً مرشّحاً للقراءة ، يضاف إلى المستوى التأملي الذهني المتداول، ويحرّض مجتمع التلقي على السعي لاستكشاف وتمثّل وقراءة البعد البصري في النص المكتوب، لكي ((يكشف بوضوح عن العبقريّة الهندسيّة للشاعر وقدرته على خلق أدوات للفكر تزيد رهافة، ونفاذاً من يوم لآخر، فالشاعر يتحرّك - من دون أن يدرك - في نظام من العلاقات والعلامات والتحولات، ولا يتلقى أو يطارد منها إلا هذا التأثير العفوي الخاص الذي يفصل بحالة معينة من عملياته الحميمة))(3)، وهي تتراكم في حقل التكوين الشعري للقصيدة، وتؤلّف

نسيجها، وتنشئ نظامها الفني ، والجمالي النوعي والخاص، على النحو الذي تتهيّأ فيه لاحتواء الرؤية ودمجها في سيَّاق التشكيل، في سبيل تشييد الكون الشعري في القصيدة. معتمدة على المجاز كونه الأرضيّة الخصبة في عدوليّة التشكيل البياني ، ولاسيّما عندما يظهر المبدع قدرةً على التأليف على غير الانساق المألوفة ، فيأتي المعنى و قد خُلِعَت عليه صورٌ تزيده ظلالاً وارفة ، لا يستطيع الخطاب في مستواه الأول من تمكينه منها0 ويتشابه الفنان التشكيلي مع المبدع شاعراً كان او ناثراً ، فالأول يحوِّل مظاهر الطبيعة إلى موضوع مطلق لغرض تصويره جماليّاً، بعيداً عن النقل الفوتوغرافي للطبيعة(4). والآخر يحوّل اللغة الاعتيادية إلى لغة فنية لغرض نقل مشاعره وأحاسيسه ورؤيته إلى العالم. هذه اللغة الفنية هي التي تشكل المضمون وتصوّره وهي ((تتميز عن لغة الحياة اليومية، وتنماز تلك اللغة التي يتوسل بها الشعر إلى إعادة خلق الواقع لغاية فنيّة من تلك اللغة التي تُستخدم لغاية إعلاميّة أو إخباريّة))(5).

من هنا تأتي أهميّة التشكيل الفني، إذ يرى بعض النقاد أنَّ ((الشكل بمثابة العنصر الجوهري في الفن، فهو الذي يعطي المادة صيغتها النهائيّة الكاملة))(6)، فالانسجام والتكامل بين عناصر المادة لهما أهميَّة قصوى في جماليّة التشكيل وفنيته ؛ لأنَّ ((القوة التشكيليّة التصويريّة التي تتصف بها روائع الفن إنَّما هي وليدة ذلك التكامل الجمالي الذي يجعل من العمل الفني الواحد وحدة منسّقة يدرك مضمونها في شكلها. وليست وحدة العمل الفني وحدة حسية، بل هي وحدة وجدانية فكرية عقلية أيضاً وهذا يعني أنَّه ليس من شأن الأعمال الفنية الأصلية أن تستثير لدينا إحساسات متفرقة مشتتة، بل هي تركز كل مشاعرنا حول العاطفة الفنيّة الأساسيّة التي تمثل نواة الموضوع الجمالي))(7).

وتتم عملية(التشكيل) في الذهن قبل أن يتعامل الفنان مع المادة الملائمة لأغراض التعبير ، وأنَّ الكم الهائل من الصور تتفاعل فيما بينها ، لتخضع للتحليل والتفكيك والتجريد ثم يعاد تركيبها وتعدّل في سلسلة من العمليات المعقدة ، فهي في حقيقتها عملية دمج بين مفردات اللغة والتلاعب بالألفاظ بشكل منظم وبقصديّة معينة ومن خلال- التشكيل - يتم تعشيق نوعين مختلفين من الواقع كتشابه (ما بين صورة قدح وصورة فتاة) لوجود علاقة ما قد تكون بعيدة وغريبة إلى حد ما ،وتظهر بموجبه في صيغة مختلفة، فهذا الشيء المزاح (الشكل الجديد) قد دخل عالماً لم يكن مصنوعاً له ، إذ يحتفظ إلى حد ما بغرابته ممَّا تجعل الناس تفكر بهذه الغرابة (8)

وهكذا نجد المبدع برؤيته يقتنص الكلمات ويمحورها في أنظمة جماليّة ،ويبني مفرداته الجزئية فوق بعضها البعض ويراكمها ، ويجمعها بصيغ تدفعه في النهاية إلى الإقناع بالشكل الذي يقدمه على هيئة النص 0 فالشاعر عندما يضع الكلمة جنب الكلمة ، أو يمحو جملة ويكتب غيرها ويضع الاستعارة التي أعطت صورة معينة جنب صورة أخرى لتكون أكثر تعبيراً ، إنَّما يجمع الصورة فوق الصورة ويربطها مع بعضها في وحدة عضويّة ليكون نصه الشعري بالكيفية التي يتعامل بها الشاعر مع المعجم اللغوي ،وهذه الكيفية هي التي تخلق داخل الأنظمة اللغويّة ّ (ثوب الخياطة) نظاما غير اعتيادي من العلاقات التشكيليّة والمعاني الدلالية التي تجعل للتعبير الشعري طابعه الذي يميزه وهو الطابع التشكيلي(9) 0

والتشكيل لا يقتصر على المبدع فقط ؛ لأنَّ المتلقي عندما يقرأ النص الابداعي، أو ينظر إلى لوحة ويتأملها فإنَّه بوساطة العلاقات يعمل على إعادة تنظيمها ، ليصل إلى تأويل مناسب ،إلا أنَّ النص الذي يحتمل أكثر من تأويل هو أكثر حيويّة من الذي يكون مغلقا على تفسير واحد ؛ ((لأنَّ القصيدة ليست مجرد مجموعة من الخواطر ، أو الصور، أو المعلومات، لكنَّها بناء مندمج الأجزاء، منظّم تنظيماً صارماً))(10)، تنهض أدوات التشكيل بجزء كبير وفاعل من عمليتي البناء والتنظيم، حتّى تصير((القصيدة تشكيلاً جديداً للوجود الإنساني))(11)0

ويعتمد التشكيل في احيان كثيرة على فنون البيان التي تعدُّ من الوسائل المهمّة التي يستعين بها الخيّال في إعادة تشكيل الأشياء وتوحيدها وتركيبها ، ولاسيّما الخيال الابتكاري في تأليف صور حسِّية لعناصر موجودة في الذاكرة والمقاربة بين الأشياء المتشابهة وإيجاد حواضن مشتركة تجمع المتنافرات ليضمها إطار عاطفي واحد ، تقترب بالشعر من الفن التشكيلي لأنّهما يصدران عن الملكة الإدراكية نفسها ، ويشتركان في المجال النفسي الذي ينبعان منه ، ويؤثران من خلاله ،من حيث القدرات النفسيّة الأساسيّة التي يفترض وجودها لدى الفنان المبدع حتَّى يكتمل لهما النضج فيتألقا في العمل الفني رسماً وشعراً0 وكلاهما يحاول تشكيل الواقع من جديد ومحاولة تجاوزه وتحسين مفهومه ، و تقديمه مشخّصاً في مثال فنيّ متداول ،ولكن كلّ بحسب مادته التي تشكله [12]، ولعلّ الجاحظ(ت255هـ) أول النقاد العرب الذين التفتوا إلى طبيعة ذلك التقارب ، إذ قال في كلامه عن الشعر : ((ضرب من النسج وجنس من التصوير))[13] ، ومصطلح التصوير بقدر ما يشير إلى أنّ الشاعر صانع له القدرة على التأثير في الآخرين ،فهو في الوقت نفسه يشير إلى أنّ الشاعر يستعين في صناعته بوسائط و وسائل تصويريّة، تكون فنون البيان من ضمنها لتقديم المعنى تقديماً حسياً ، ممّا يجعله نظير الرسم ومثيلاً له في طريقة التقديم 0

المبحث الأول

التشبيه وتشكيلاته في خطب الامام الحسن عليه السلام

يعدُّ التشبيه من أبرز الأساليب البيانيّة المميَّزة ، ووسيلة رئيسة من وسائل تشكيل الصور الفنيّة في النص الأدبي ،إذ يزداد به المعنى رفعة وشأناً ، ويبرزه إيضاحاً وبياناً ويكسبه تأكيداً وبلاغةً ،إنَّه وعاءٌ كبيرٌ يستوعب الأفكار والمشاعر، فيجد فيه الأديب أداة طيعة في كُلِّ غرض من أغراض الكلام التي يريد التعبير عنها 0 وهو من أقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها إلى الفهم والأذهان(14)، وهو من أكثر الفنون دوراناً في الشعر والنثر العربي القديم، ولذلك اهتم به النقاد والبلاغيون ووضعوا الدراسات لبيان أنواعه وتوضيح مقاصده ، ويعد تعريف القزويني من أدق التعاريف فهو يرى أنَّهُ:((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))(15) أو أكثر، أو وجه أو أكثر من وجه، وتعقد به مماثلة لوجود صفة مشتركة بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، بأداة ملفوظة أو محذوفة، لغرض يقصده الأديب. كما أن بلاغته تنشأ((من أنَّه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء ظريف يشبهه، وصورة بارعة تمثله، وكلَّما كان هذا الانتقال بعيدًا قليل الحضور بالبال، أو ممتزجًا بقليل أو كثير من الخيال . كان التشبيه أروع للنفس وادعى إلى إعجابها واهتزازها))(16) ، وسنحاول دراسة هذا الاسلوب في التشبيهات التي جاءت على لسان الامام الحسن في خطبه من خلال مظاهر تأثير التشبيه القرآني فيها 0

تشيع في خطب الامام ظاهرة التشبيه بشكل واضح و بصيغ معينة تتخذ شكلاً محدداً نحو (مثلكم ، كمثل) و (مثل ....كمثل)و (على مثل ....في مثل) وما بين طرف المشبه مثل وطرف المشبه به (كمثل) ، إذ تحتشد كثير من عناصر الصورة التي تحيل المستمع الى مشاهد ليحقق بذلك غرضاً اساسياً من الاستعمال التشبيهي وهو تجسيد المعنى الموهوم وإخراج الخفي الى الجلي أدناه البعيد الى القريب [17] 0 ويبدو ان اغلب استعمالات التشبيه في خطب الامام (عليه السلام) في هذه الصيغ جاءت في معاني التحذير من الركون الى الدنيا ونسيان الهدف الاسمى من خلق الانسان وهو الخلود في الظفر برضا الله يقول الامام ;((وأرض بما قسم الله تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عدلا، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا، ويبنون مشيدا، ويأملون بعيدا، أصبح جمعهم بورا))0[18]

يتجلى التشبيه في هذه الخطبة الوجيزة البليغة أن الإنسان لا يسعد ولا يسعد به غيره إلا إذا تجمعت فيه مكارم الأخلاق، ومعالي الصفات. فمصاحبة لا تكن الا بما تحب ان يصاحبوك فيه من الاعمال الحسنة الكريمة التي تربى عليها المسلم ، وهنا شبه الامام هذه الاعمال بالأعمال التي يحبها الشخص لنفسه وتشبيه تمثيلي متكون

من عدة صور يتخيلها الانسان في ذهنه ، والامام في هذا التشبيه يكون قد جسد فيه قوله تعالى: ((وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)) (سورة البقرة،أية 197) وقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله سلم): ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)). وفي هذا الحديث تحريض وترغيب في المكارم ليجعل الإنسان من نفسه إنساناً مثالياً جامعاً للمكارم، والمثل الطيبة بتركه اتباع هوى النفس الإمارة والانقياد التام إلى أوامر الله تعالى، والاعتبار بمن مضى من قبله من أصحاب الجاه المريض... والقصور المشيدة... حيث أصبحوا جثثا هامدة تحت طبقات الأرض لا حراك لها ولا زهو، ولا جبروت ولا سلطان!! والأمر يومئذ كله لله.

ونجد في خطب الامام (عليه السلام) نوع اخر من التشبيه ،الا وهو التشبيه التمثيلي وهو يصف القرآن الكريم بقوله :((هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور))[19] ، فالإمام عليه السلام يشبه القرآن بالسراج الوهاج الذي ينير درب الماشي في ليل مظلم فيعصمه من الوقوع في الأخطار ، ويبعد عنه أخطار الطريق ، وهو في هذا التشبيه يريد ان يبين بكلامه الذهبي أن هذا القرآن كتاب هداية يرشد البشر إلى خطط السعادة الأبدية فإذا اتبع الإنسان هذا الكتاب العظيم أرشده إلى ما فيه خيره وسعادته وهيأ له الراحة والرفاه من جميع النواحي، ولذا يحرض الإسلام على الأخذ بالقرآن واتباع مناهجه وتحليل حلاله، وتحريم حرامه.. فإنه النبراس الذي ينير الظلام، ويكشف الأوهام، ويهدي إلى الطريق السوي قال تعالى :(({إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)) (سورة الإسراء أية 9) ، وقوله تعالى : ((اَقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (سورة المزمل ، أية20)

ويستعمل الامام (عليه السلام) التشبيه ، ليرشد الرعية بأن الدنيا دار فناء لا دار بقاء ، بقوله : ((فانزل الدنيا بمنزلة الميتة، وخذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالا كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراما لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير. واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وإذا أردت عزا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فأخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل))[20] 0

لقد اراد الامام من خلال هذا التشبيه ان يبلغ السائل إن سفراء الله سبحانه في الأرض يقفون أنفسهم لمرضاته في كل حركة وسكون، وأخذ وعطاء، وصحة ومرض وما إلى ذلك، فإنهم من الله والى الله، ولذا نراهم مستعدين للإرشاد والاسعاد حتى في أحرج الساعات وأحلك الأوقات، وقد اغتنم الإمام الحسن عليه السلام هذه الفرصة عندما طلب منه جنادة وهو في آخر ساعة من أيام حياته أن يلقى عليه كلمته العسجدية التي تشتمل على جوامع الحكم، وقد قدرت الدنيا كلمته تلك ولم تزل يرن صداها إلى هذا اليوم بعد أربعة عشر قرنا والى يوم يبعثون. وهو يجسد قوله تعالى : ((وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (سورة آل عمران ,أية 139)، وهنا يؤكد بأن الأمر بيد الله عزَّ وجل، لأنه بيده استعن بالله، لا تعجز لا تقل: هذه فوق طاقتي، لا تيأس، لا تستسلم، لا تنهار معنوياتك

ويشبه عليه السلام ائمة الهدى بقوله : ((ولا تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله والتحريف، ورأيتم كيف يهوى من يهوى، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم، وأئمة يقتدى بهم عيش العلم، وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم، وحكم منطقهم عن صمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق)) [21]،

متمثلاً بقوله تعالى ((هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)) آل عمران7 وقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ((المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

لقد استعمل الإمام مع التشبيه هيكلية التوازي التي تدخله ضمن دائرة الأسلوب تضمه ضمائر متجانسة في التركيب لكنها متوازية في الصورة التي يُشتق منها (22) توازي في المعنى ، وتوازي في البنية حيث يذهب الباحث إلى أن هذين المتوازيين يقودان إلى توازيات صوتية في القافية والإيقاع (23) في قوله عليه السلام وهو يصف خالق الكون جل علاه :((الحمد لله الذي كان في أوليته، وحدانيا في أزليته، متعظما بالهيبة، متكبرا بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق، ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته، خلق، ولا زوال لملكه000))(24)، متمثلاً في ذهنه قوله تعالى (({هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (سورة الحديد، أية 3)

وثمة توازٍ تحفل بها خطب الامام عليه السلام وذلك يتجسد في استعمال المفردات الايجابية في سياق سلبي والعكس صحيح ، وهو سياق لغوي مفهومي يجيء ليعمق الفكرة ويطرح نقداً تتبارى فيه مصطلحات الايجابية في توازٍ مع السلبية فتقدم سياقاً لغوياً يجعل المتلقي في حالة توقد وتحفيز الملكة للوصول إلى مفهوم إيضاحي حيث التوازي المبني على التضاد هنا بين إيجاب وسلب أو بالعكس يوصل إلى استنتاج واضح بعد محاولة تفسير صعبة بنائياً ويسيرة – في ما بعد – مفهومياً 0

وألقى التشبيه بظلاله على خطب الامام الحسن عليه السلام حتى باتت تتميز خطبه بوضوح المعنى وسهولته ، ،ورونق الصياغة، وتناسب العبارات وقصرها، ودقة الكلمات وإيحائيتها، وعذوبة الألفاظ وفصاحتها، وبلاغة المعاني وجودتها ،هذا بالإضافة إلى ما يشتمل عليه من تصوير، وبراعة التفسير يتجسد ذلك بقوله : ((الحمد لله الواحد بغير شبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز الذي لم يزل قديما في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير التفكر بتدبير أمورها، أعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه، يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير))(25) .

إنَّ هذه الخطبة المباركة تتضمن الوحدانية وما يستتبعها من ذكر نعوت، فإن عامة الناس لما كانت تجهل التوحيد وشئونه فالأئمة المعصومون عليهم السلام أكثروا فمن ذكر الله وأوصافه لئلا يختلط الأمر ويشتبه الحال متمثلاً قوله تعالى (({لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) (سورة الأنعام ،أية 103) ، وقوله تعالى (({أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) (سورة الملك،أية14) .

ومن خلال ماتقدم نرى إنَّ التشبيه قد اثر بشكل واضح على خطبب الامام الحسن عليه السلام ، وهذا انما يدل على براعة الامام في توظيفه بطريقة فنية اسهمت في بناء نص فني يتميز بي بوضوح العبارة وسهولتها ، ورونق الصياغة، وتناسب العبارات وقصرها ، ودقة الكلمات وإيحائيتها، وعذوبة الألفاظ وفصاحتها، وبلاغة المعاني وجودتها ، فضلاً عن ما يشتمل عليه من تصوير، وبراعة التفسير ، مع سلاسة الأفكار، وعدم المبالغة في الأخبار وحسن الاختيار. ثم تناسب العبارات وتكاملها ومدى تحقيق انسجاميتها ، ولا يمكن ان تتوفر تلك الخصوصية لقوة النص في المخاطبة الارتجالية وفي الكتابة لشخص آخر غير بيت النبوة ومنهم الإمام الحسن عليه السلام الذي انطوت شخصيته على علوم وفنون وقدرات عظيمة تتلاقح فيما بينها بجدلية خصبة.

المبحث الثاني

الاستعارة وتشكيلاتها في خطب الامام الحسن عليه السلام

تعدُّ الاستعارة تشكيلاً لغوياً فنياً لها القدرة على إبراز عناصر البناء الشعري، من خلال استيعاب التجارب الوجدانيّة، وتجسيد الشّحنات العاطفيّة في سياق يحمل بعداً نفسياً و فنياً ، يحرر النفس من بطء الأسلوب المنطقي والوضوح النثري ، ويكسوها بقليل أو كثير من الوهم والغموض المتولدين من الاتصال المباشر بين النفس والأشياء ([26]) ،وهي أسلوبٌ من الأساليب البيانيّة التي تُضفي على الكلام الحسن ،والجمال، وتمنحه القدرة على التأثير في نفس المتلقي، وإثارة خياله دون إطالة وإطناب ([27])، فهي تعتمد في إبداعها على الادعاء لا النقل ؛ لأنَّ عملية الادعاء تعتمد على الخيال الذي يوفر فرصة للتجديد الذي يخلق الصور المبتكرة([28]) ، وهي مبنية على أساس ((تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة))([29])، فهي لا تغير المعنى فقط بل تغير طبيعته ونمطه ،وتنتقل به من معنى مفهومي إلى معنى انفعالي يعبر عن تفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها ([30])،ومحورها يكمن في تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية من خلال ((ألفاظ لا تقصد لذاتها وإنَّما لمعان ودلالات نستشفها من وراء وجودها في السّياق مرتبطة بما تقتضي أحكام النظم والمعاني النحويّة)) ([31])، فهي في الأصل ألفاظ و معان معروفة متداولة ، تؤدّي وظيفة التعبير، أو الإيحاء بالجديد في ضوء العلاقة الخاصة بينها ، وبين المفردات الأخرى في العبارة ، وهي بذلك تتجاوز الإطار اللغوي المحدود إلى أفاق واسعة، تغني اللغة وتوسع مدلولاتها فتفجر طاقاتها الكامنة غير المرئيّة وتجعلها قادرة على تصوير المعنويات وتجسيد الخلجات وخلق وجود جديد للعبارات ([32])0

وقد حفلت خطب الامام الحسن عليه السلام بأنواع عديدة من الاستعارة في سياقات لغوية لتشكيل صورة تقنية تخضع لتحويل رمزي معين يعاد تشكيل العناصر المنظورة والمحسوسة في إطار محدد ،على وفق رؤية خاصة ،ومسافة مدروسة ،لغاية تعبيريّة تتجاوز الاسلبة إلى فضاء المعنى ، وبذلك يكون الأمام قد منحها الصفات الحيويّة التي تعمل على ولادة لغة بلاغية جديدة تفوح بمعان عدة منها قوله عليه السلام في خطبة يصف فيها الله جل جلاله : ((أول معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود ولا أمد بحتى، ولا شخص فتجزئ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول أو هامها ولا الفكر وخطراتها. ولا الألباب أذهانها صفته، فبقول متى ولا بدئ مما، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلا، خلق الخلق فكان بديئا، ابتدع ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله ربي رب العالمين))([33]) 0

لقد جاءت في خطبته (عليه السلام) العديد من الاستعارات البلاغية لان موضوعه يتطلب ذلك فهو يصف الخالق فلابد له من استعمال لغة ترقى للأوصاف التي يريد التعبير عنها (فالظاهر والباطن والتارك) كلها استعارات تعبر عن معنى عدمية ادراك حدود الخالق جل جلاله متأثراً بذلك بقوله تعالى: ((﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (سورة الحديد،أية 3) 0

لقد افرغ الإمام معانيه البلاغية في قوالب يغلب عليها عناصر الحس والمشاهدة لتلتقي الصورة بالمضمون وتقترن المعاني بالألفاظ بل لتتعانق اللغة والفكر والمضامين في إخراج الوظيفة الفنيّة([34]) ،التي يستطيع الخطيب من خلالها أن يتعمق ببناء اللغة وضمائرها وصفاتها التي ترد علينا وروداً طبيعياً لا شبه به لصنعة أو أناقة، وهذا يتجسد في قوله عليه السلام : ((يا ابن آدم لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك، وإن المؤمن يتزود، والكافر يتمتع))([35]) 0 لقد جاءت استعاراته عليه السلام للتعبير عن معاني الهم والانشغال عن عبادة الله بالدنيا ومغرياتها ،(فجعل العمر بناء يهدم في المعاصي ، واليد للعطاء التي تسهم في نيلك منزلة حسنى ، وجعل تعلم الدين والاقتداء بالصالحين مثل الزاد الذي يعصمك من الوقوع في المعاصي والاخطاء

، ولعل لقوله تعالى: ((وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)) (سورة البقرة ، أية 197) اثراً في بناء هذه الصورة الفنية لدى الامام عليه السلام 0

وتوظيف الاستعارة أسمى من التشبيه في التصوير وخلق الشعريّة ؛ لأنَّ عملية صهر طرفي التشبيه تكون فيها أكثر اكتمالاً ، حتَّى نجد أنفسنا أمام صورة تفاعلت جزيئاتها لتنتج لنا مادة واحدة متماسكة الأجزاء قوامها واحد في لون جديد وشكل مغاير لشكل تلك الأجزاء المتميزة ([36])، وبهذا تكون للاستعارة القدرة على التلوين والتصوير الذي يمثل جوهر التجربة الأدبية، فشعريّة الصورة ومدى براعة خيال للمبدع او الخطيب يقاسان بنجاحه في بناء استعاراته، فهي ((اللغة الإنسانيّة الأولى التي حافظت على ازدواجيّة المعنى حقبا طويلة بالربط بين المشاهد وأثرها الباطني))([37]).وهذا كله جسده الإمام في خطبته وهو يصف القرآن بقوله : ((إن هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)) ([38]) 0

الإمام يصف كتاب الله ومعجز الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فوظف الاستعارة بقوله: (مصابيح نور ،وشفاء الصدور ،) لما فيه من رحمة للعباد تنير لهم حياتهم وتعصمهم من الوقوع في الزلل والأخطاء متمثلاً قوله تعالى : ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً)) (سورة الإسراء، أية 82)

وعملية الإبداع في الاستعارة لا تتمثل في ذوات الرموز التي تستعملها وإنَّما في معاني الرموز وصورها ، بل الإبداع في تواشجها وتداخلها لرسم الصورة الاستعاريّة فيها الحركة وفيها الثبات وفيها السكينة إلى جانب الرهبة ،وكلُّ خصِّيصة تستمد قيمتها الفنية من مجاراتها للعناصر الأخرى في الصورة([39])، وسرُّ بلاغتها يمكن أن يدرك من ناحيتين: ناحية اللفظ ،و ناحية الابتكار ،أمَّا من جهة اللفظ فلان تركيبها يدلّ على تناسي التشبيه ويحملك عمداً إلى تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور ،أمَّا الابتكار وروعة الخيال فهو ما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها ،وما تعطيه من مجالٍ فسيح للإبداع وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام ([40])، وقد تمثل ذلك بقوله عليه السلام في فضل ال البيت عليهم السلام : ((ياأيها الناس ! اعقلوا عن ربكم ، ان الله عز وجل اصطفى ادم ونوحا وال إبراهيم وال عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . فنحن الذرية من ادم ، والأسرة من نوح ، والصفوة من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، وال من محمد صلى الله عليه واله . نحن فيكم كالسماء المرفوعة ، والأرض المدحوة ، والشمس الضاحية ، وكالشجرة الزيتونة ، لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها .النبي أصلها ، وعلى فرعها ، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى . فقام أمير المؤمنين عليه السلام من أقصى الناس ، يسحب رداءه من خلفه ، حتى علا المنبر مع الحسن عليه السلام ، فقبل بين عينيه ، ثم قال : يا ابن رسول الله أثبت على القوم حجتك وأوجبت عليهم طاعتك ، فويل لمن خالفك))([41]) 0

و هنا عملت عدة استعارات لإبراز عظمة ال البيت ورفعة منزلتهم منها (لا شرقية ولا غربية، وعلى فرعها ، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة ، يسحب رداءه من خلفه) لإضفاء نوع من القوة والتأكيد على العبارات وذلك لان القوم كانوا منكرين حق ال البيت فوجب عليه السلام ان يعطي لخطبته نوع من الايجاز المفعم بفنون البلاغة ليدحض حجج المشككين بمنزلتهم الشريفة ، وهنا نجده متأثراً بقوله تعالى ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (سورة النور، أية 35) ، فإ (عليه السلام) فالامام (عليه السلام) يريد أن يقول ، نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسوله الأقربون ، وأهل بيته الطيبون الطاهرون ، واحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه واله في أمته ، والتالي كتاب الله ، فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه . فالمعول علينا في تفسيره ، لا نتضنى تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا ، فان طاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة . قال الله عز وجل : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) (سورة النساء،أية 59) 0

وقد لا يبالغ المرء حين يقول: ((إنَّ أهم ما يشغل الدارسين للغات الإنسانيّة هو الاستعارة فهي موضع اهتمام من قبل اللسانيين، وفلاسفة اللغة والمناطقة وعلماء النفس))([42])، والاستعارة فن دقيق خفي العلاقات ، يَحتاج إلى عاطفة قويّة وإثارة وجدانيّة ، يَخلق مع قوة الوجدان والتهاب الإحساس بالجمال ، وهذا بدوره يتطلب عمقاً ونفاذاً وقوة في التأمل والتدبر وكلّها عمليات عقليّة تخييلية مرتبطة بنوع التجربة وذكاء المبدع وقوة ملاحظته للفروق والمشابهات وذوقه الأدبي، و ((فالخطيب عندما يحاول تحديد انفعالاته ومشاعره إزاء الأشياء يضطر إلى أن يكون استعارياً))([43])، وقيل أيضاً ((ظلت الاستعارة محكاً للشاعرية من حيث قدرتها على اكتشاف علاقـــات جديدة بين الأشيـــاء المتباينة أي على اكتشاف الفجـوة القائمـة بين الأشياء))([44])، وهذا ما تمثل بقوله عليه السلام: ((فان الخذلان يقطع نياط القلوب ، وان الاقدام على الأسنة نجدة وعصمة ، لأنه لم يمتنع قوم قط الا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوانح الذلة ، وهداهم إلى معالم الملة . والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع000))([45])

فالإمام عليه السلام كان متمكنا من لغته الادبية وهذا التمكن جعله يوظف مجموعة من الاستعارات في خطبته منها (نياط القلوب ، رفع العلة ، جوانح الذلة ، أنفاسها الجزع)، لتشكيل مجموعة من الصور الفنية التي تضفي على خطبته قوة في التعبير ورصانة في الاسلوب وهو في كل ذلك متأثراً بقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) (سورة المجادلة،أية 11) 0

ومن خلال ما تقدم نقول ان الامام عليه السلام كان متمكناً من فنون اللغة والبلاغة ؛ وذلك لأنه من أئمة ال البيت عليهم السلام ،الذي زق العلم فيهم زقا ، لذلك وجدناه يستعمل الاستعارة بفنية عالية يقف امامها اغلب النقاد للتمعن بفنيتها وقدرتها على احتواء المعاني الاسلامية الراقية متأثرة بأسلوب القرآن السهل الممتنع 0

المبحث الثالث

الكناية وتشكيلاتها في خطب الامام الحسن عليه السلام

وهي تشكيل قائم على توظيف النظام الكنائي الذي يعدُّ أحد الأنظمة الفاعلة في النصِّ الأدبيّ، التي تعطيه حيويّةً وثراءً، وتكثيفاً دلاليّاً وجماليّاً في آن؛ إذ إنّه إقصاءٌ للمعاني المباشرة للدوال، والتحوّل عنها إلى دلالات إيحائيّة عميقة، ما يجعل المتلقّي يشعر بلذّة في رحلته الزمانيّة والمكانيّة ، في الكون النصِّي ، لاستكشاف تلك الدلالات الغائبة، السابحة في فضائه الواسع([46])، معتمداً على علاقة المجاورة التي تقوم أساساً على الانحراف بالألفاظ عن طريق التركيب إلى ألفاظ أخرى مجاورة لها في الدلالة ، لكنَّها أكثر إثارة للمشاعر والإيحاءات الدفينة والغائبة في منطقة اللاوعي ،أي تجاور المعنى الحقيقي الذي تقوم عليه إلى معنى آخر أكثر إضاءةً وإيحاءاً ،ليصبح التشكيل الشعري المتكون جوهر الإبداع الشعري في اعتماده على الانزياح والخرق اللذين يخرجان النّص الشعري من دائرة المألوف إلى دائرة التوتر وإثارة المتلقي ومفاجأته ([47])0

التشكيل التجاوري الذي تقوم عليه الكناية : ((لون من ألوان الأساليب يخرج به الشاعر إلى معان في اللغة ، يتجوز فيها الأساليب التي تخدمه إلى غرضه مع مراعاة العلائق والروابط بين المعنى المقصود والمعنى

المذكور))([48]) ، وهو من الألوان البلاغية التي تملك مزايا تضفي على المعنى جمالاً وتزيده قوةً في إبراز المعاني وتجسيدها بصورة محسوسة مؤثرة ، وعدَّ العرب الكناية ((من البراعة والبلاغة وهي عندهم ابلغ من التصريح)) ([49])

ومع كلِّ ما ذكر نرى أنَّ للكناية أهمية لا تخفى بوصفها وسيلة تعبيريّة موحية بأوسع المعاني وأدقها في ألفاظ موجزة، ويقيناً أنَّ الكناية لا تتحقق فنيتها ما لم تتعاضد معها عناصر البيان الأخرى، كالاستعارة، والتشبيه،فضلاً عن وجود ارتباط بين التعبير الكنائي والبيئة الاجتماعية المحيطة بالخطيب ،إذ تتواشج جميع هذه العناصر وتشترك في إبداع الصورة الأدبيّة التي تكون الكناية إحدى مكوناتها 0

وجاءت الكناية في خطب الامام الحسن عليه السلام متأثرةً بأسلوب القرآن الا إن هذا التأثير توشح بوشاح فني جميل تميز به الإمام ، لاسيما في خطبه التي يعظ فيها الناس ويصف عظمة الخالق وجبروته منها قوله : ((الحمد لله الواحد بغير تشبيه ، الدائم بغير تكوين ، القائم بغير كلفة ، الخالق بغير منصبة ، الموصوف بغير غاية ، المعروف بغير محدودية ، العزيز لم يزل قديما في القدم ، ردعت القلوب لهيبته ، وذهلت العقول لعزته ، وخضعت الرقاب لقدرته . فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته ، ولا يبلغ الناس كنه جلاله))([50]) 0

لقد جاءت الكناية في عدة مواضع منها قوله (ردعت القلوب لهيبته ، وذهلت العقول لعزته ، وخضعت الرقاب لقدرته) كناية عن القدرة الهيبة والجبروت التي تفرد بها الله سبحانه عن سائر مخلوقاتها ؛ لأنه هو الفرد الصمد خالق الكون ليس كمثله شيء متمثلا عليه السلام قوله تعالى : ((إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ)) (سورة الشعراء ،أية 4) 0

ونجد والإمام الحسن عليه السلام قد جعل الكناية إحدى وسائله في تشكيل الصورة الأدبية ،إذ إنَّ ((التعبير بالكناية له منزلة التصوير بالاستعارة ،فكلّ منهما يصدر عن ذائقة فنيّة وقيمة بلاغيّة تتعلق بفن القول))(51) ، ويمكننا القول أيضاً إنَّ الكناية من((أكثر الأساليب البلاغية جذباً للمتلقي ولها النصيب الأكبر في النصوص فهي قائمة على الخيال وتداعي المعاني)) (52) والإيجاز والاختصار، مما يسمح بعرض المعنى الكثير في قليل من اللفظ وهذا في عالم البلاغة جميل في موضعه معجز في تعبيره وأسلوبه ([53])0تمثله قوله عليه السلام : ((الحمد لله الذي كان في أوليته، وحدانيا في أزليته، متعظما بالهيبة، متكبرا بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق، ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته، خلق، ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنى، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى، وهو بالمنظر الأعلى احتجب بنوره، وسمى في علوه، فاستتر عن خلقه))([54])

لقد جاءت الكناية في خطبه لتعبر عن الاصول الثلاثة من أصول الدين هي: التوحيد والنبوة والإمامة، مع إسهاب في الأول والأخير حيث أن شئون التوحيد تحتاج إلى الايضاح والبيان فهمها على العامة الذين هم بمعزل عن إدراك الحقائق والدقائق. والإمامة لما كانت مثار خلاف ونزاع، وآراء وصراع، لم ير الإمام بدا إلا أن يأخذ فيها بشيء من التوضيح والبسط، فقد أشار الإمام إلى عدد الأئمة والخلفاء، موظفاً الكناية التي تمتلك من القدرة على الإيجاز المعبر عن معان عدة وذلك لما تمتلكه الكناية من القدرة على تداعيات المعنى الذي يضفي على النص بلاغة وقوة في التعبير ،هنا يبدو الإمام متأثر بقوله تعالى: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (سورة النور،أية 35)

وبهذا يكون الإمام الحسن عليه السلام قد أجاد وأبدع في استعمال الكناية في خطبه الطاهرة مستلهماً المعاني من كتاب الله (عز وجل)، لتعبير عن ما يدور في ذهنه من أفكار و صور يهدف من خلالها توصيل المعنى الى المتلقي في ابهى صورة واسلوب ورصانة في التعبير 0

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذا التجوال المضني والجميل في رحاب العترة الطاهرة من ال محمد عليهم السلام ، لاسيما الإمام الحسن لرصد ظاهرة تأثره بالقرآن الكريم في خطبه الطاهرة ، توصل البحث الى عدة نتائج نوجزها :

1- للقرآن الحكيم الأثر البالغ على رفع القدرة البيانية للأدباء، وللخطباء منهم على وجه الخصوص، خطباء ال البيت من الائمة الأطهار عليهم السلام ، وتوسيع افقهم، وتزويدهم بالحجج المقنعة، والادلة المشرقة0
2- انّ اكثر الخطباء تمسكاً بالقرآن، واستجلاء لآياته.. واستنطاقا لمعانيه.. واقتفاء لأساليبه.. هم الأمكن في الخطابة، وفي الاغراض الاخرى من الادب. وهم الاشد اقتداراً على كسب الجماهير، والاخذ بمقود اسماعهم 0
3- بلغت الخطابة ذروتها الادبية والبلاغية في خطب اهل البيت عليهم السلام الذين نزل القرآن في بيوتهم وارتشفوه معنىً ومبنىً 0
4- يعدُّ الإمام علي عليه السلام ، أول من عالج فن الخطابة معالجة الأديب ، وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب ، ثم نهل من ذاك البحر الإمام الحسن عليه السلام فنشأ في احضان البلاغة والعلم والادب والفصاحة 0
5- بدى فن التشبيه في خطب الامام الحسن (عليه السلام) متأثراً بأسلوب التشبيه القرآني الذي جاء في غاية الفرادة في طريقة حشده لعناصر تتسابق غرابةً في ائتلافها مع جدة عرضها 0
6- تشيع في خطب الامام ظاهرة التشبيه بشكل واضح و بصيغ معينة تتخذ شكلاً محدداً وتحتشد الكثير من عناصر الصورة التي تحيل المستمع الى مشاهد ليحقق بذلك غرضاً اساسياً من الاستعمال التشبيهي وهو تجسيد المعنى الموهوم وإخراج الخفي الى الجلي 0
7- اغلب استعمالات التشبيه في خطب الامام جاءت في معاني التحذير من الركون الى الدنيا ونسيان الهدف الاسمى من خلق الانسان وهو الخلود في الظفر برضا الله 0
8- تميزت خطب الإمام عليه السلام بوضوح العبارة ، وسهولة ،ورونق الصياغة، وتناسب العبارات وقصرها، ودقة الكلمات وإيحائيتها، وعذوبة الألفاظ وفصاحتها، وبلاغة المعاني وجودتها ،لاسيما في إبراز عظمة ال البيت ورفعة منزلتهم 0
9- جاءت الاستعارة في خطب الامام الحسن عليه السلام في سياقات لغوية لتشكيل صورة تقنية تخضع لتحويل رمزي معين يعاد تشكيل العناصر المنظورة والمحسوسة في إطار محدد ،على وفق رؤية خاصة 0
10- لقد افرغ الإمام معانيه البلاغية(من خلال الاستعارة) في قوالب يغلب عليها عناصر الحس والمشاهدة لتلتقي الصورة بالمضمون وتقترن المعاني بالألفاظ بل لتتعانق اللغة والفكر والمضامين في إخراج الوظيفة الفنية للخطابة ، وهو يصف كتاب الله ومعجز الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم 0
11- غلب على الاستعارة في خطب الامام (عليه السلام) الفنية العالية ، التي يقف امامها اغلب النقاد للتمعن بفنيتها وقدرتها على احتواء المعاني الاسلامية الراقية متأثرة بأسلوب القرآن السهل الممتنع 0
12- جاءت الكناية في خطبه (عليه السلام) متأثرةً بأسلوب القرآن الا إن هذا التوظيف توشح في خطبه بوشاح فني جميل تميز به ، لاسيما في خطبه التي يعظ فيها الناس ويصف عظمة الخالق و جبروته 0

13- جعل والإمام الحسن عليه السلام من الكناية إحدى وسائله في تشكيل الصورة الأدبية ، لما وجد فيها من قدرة فنية عالية في إداء المعنى 0

14- جاءت الكناية في خطبه عليه السلام لتعبر عن الاصول الثلاثة من أصول الدين هي: التوحيد والنبوة والإمامة0

الهوامش

([1]) ينظر: كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (175هـ) تحقيق، الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، بيروت لبنان ط:1 ،1988 ،5: 295، لسان العرب ،ابن منظور(ت711هـ) ، طبعة جديدة محققة ، دار صادر بيروت 2011م ، مادة (شَكَلَ). القاموس المحيط، الفيروز آبادي،مراجعة محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان،2010م، فصل الشين، باب اللام:1096. المعجم الوسيط، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات و حامد عبد القادر و محمد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، (د.ت): 493 .

(2) النقد الفني، نبيل راغب، دار مصر للطباعة، الإسكندرية، د. ت، :63.

(3) المقاربة السيميائية للنص الأدبي - أدوات ونماذج -، عبد الجليل منقور، ضمن كتاب السيمياء والنص الأدبي (محاضرات الملتقى الوطني الأول)، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، 2000: 64.

(4) ينظر: النقد الفني: 67.

(5)تحليل النص الشعري بنية القصيدة، يوري لوتمان، ترجمة محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1995، : 40.

(6) ضرورة الفن، ارنست فيشر، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971، :153.

(7) النقد الفني، نبيل راغب: 16.

(8) ينظر : اللغة بين الأدب والحداثة –الحداثة والتجريب: جاكوب كورك، ترجمة ليون يوسف، وعزيز عما نوئيل ، دار المأمون للترجمة والنشر، دار الحرية للطباعة،بغداد، 1989 :94 0

(9) ينظر:التشكيلي في اللساني مقاربة في خطاب السياب الشعري،عبد الستار عبد الله البدراني والدكتور صباح الدين فريد عبد الله ، عالم الكتاب الحديث ، اربد الأردن ، 2013 : 30 0

(10) حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور ،ديوان صلاح عبد الصبور ،دار العودة ، بيروت ،1969م: 333 – 334 0

(11)الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية ، عز الدين إسماعيل ، دار العودة للطباعة ، بيروت،ط:1 ،2007 : 241 0

(12) ينظر : جماليات الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر ،كلود عبيد ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ،ط:1، 1431هـ - 2010م : 11 0

(13)كتاب الحيوان: الجاحظ (ت255هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة البابي الحلبي،1938م: 3|132.

(14) ينظر :أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، الدكتور ،محمد حسين الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد-1986م:65 0

(15) الإيضاح في علوم البلاغة ،جلال الدين الخطيب القزويني ، ،تحقيق لجنة من أساتذة الجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة ،2: 328 0

(16) البيان فن الصورة ، مصطفى الصاوي الجويني: ، دار المعرفة الجامعية عين شمس، سوتير الإسكندرية: 33 0

17() البرهان : الزركشي 3 /415 0

18() تحف العقول عن ال الرسول ،للشيخ الجليل ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ،لبنان ،ط5 /1969 : 164 0

19() تحف العقول : 163

20() نفسه : 166

21() تحف العقول : 167 0

(22) ينظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: 10 0

(23)ينظر : من الأدب الروائي – زيد الشهيد – دار الشؤون الثقافية – 2008 - التعطر بالشعرية : 101 0
24() تحف العقول : 167 0
25() تحف العقول 168 0
(26) ينظر: الصـورة في النقد الأوربي، عبد القادر الرباعي ،مجلة المعرفة السـورية العدد:204 شـباط لسـنة:1979م :145، و العقل في الشعر بين التشبيه والاستعارة :57
(27) ينظر:القرآن والصـور البيانية، د. عبد القادر حسـين، عالم الكتاب للطباعة والنشـر ،ط:2، 1985م : 171.و علم أسـاليب البيان :273
(28) ينظر: فن الاستعارة ، الدكتور احمد عبد السيد الصاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979: 294
(29)النكت في إعجاز القرآن : الرماني (386هـ) تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة (د0ت) 79:
(30) ينظر: بنية اللغة الشعرية :205 0
(31) فن الاستعارة ،:132
(32)ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي :279 0
33() تحف العقول : 168 0
(34) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني،محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر ،1981م: 347 0
35() تحف العقول : 169 0
(36) ينظر: في المصطلح النقدي :177 ،و فن الاستعارة :111 الهامش
(37) الصورة والبناء الشعري :156.
38() تحف العقول: 170 0
(39) ينظر: الصورة المجازية في شعر المتنبي :92 0
(40) ينظر :علم أساليب البيان :274 0
41() تحف العقول: 165
(42) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي،ط:4 ،1995م : 81.
(43) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب :350.
(44) في الشعرية: 122.
45() تحف العقول : 171 0
(46) ينظر: الكناية في شعر البردوني ديوان (السفر إلى الأيام الخضر) أنموذجاً دراسة سيميوطيقية ، عبد الله حمود الفقيه، دار الحداثة: بيروت، ط7: 5 ،و فاعلية الكناية في النقد المعاصـر، أنمار إبراهيم أحمد ، المطبعة المركزية جامعة ديالى ، ط/1 ،2012 م:1 0
(47) ينظر : خصائص الأسلوب في شعر البحتري :345 0
(48) الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن علي أمين أحمد ، المكتبة الفيصلية 1405هـ -1985م: 33 0
(49) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ) ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر،ط3 1400هـ-1980م 2: 300 0
50() تحف العقول : 167 0
(51) أصول البيان العربي:111 0
(52) بنية اللغة الشعرية ،101-103 0
(53) ينظر: علم أساليب البيان :303 0
54() تحف العقول : 166 0

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم 0
- أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، الدكتور ،محمد حسين الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد-1986م 0
- الإيضاح في علوم البلاغة ،جلال الدين الخطيب القزويني ، ،تحقيق لجنة من أساتذة الجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة 0
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ) ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر،ط3 1400هـ-1980م 0
- البيان فن الصورة ، مصطفى الصاوي الجويني: ، دار المعرفة الجامعية عين شمس، سوتير الإسكندرية 0
- تحف العقول عن ال الرسول ،للشيخ الجليل ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ،لبنان ،ط5 /1969 0
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي،ط:4 ،1995م.
- تحليل النص الشعري بنية القصيدة، يوري لوتمان، ترجمة محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1995 0
- التشكيلي في اللساني مقاربة في خطاب السياب الشعري،عبد الستار عبد الله البدراني والدكتور صباح الدين فريد عبد الله ، عالم الكتاب الحديث ، اربد الأردن ، 2013
- جماليات الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر ،كلود عبيد ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ،ط:1، 1431هـ - 2010م 0
- حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور ،ديوان صلاح عبد الصبور ،دار العودة ، بيروت ،1969م
- الحيوان : الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الباب الحلبي وأولاده ،القاهرة ، 1969 م
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية ، عز الدين إسماعيل ، دار العودة للطباعة ، بيروت،ط:1 ،2007
- الصورة الفنية في المثل القرآني،محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر ،1981م 0
- الصورة المجازيـة في شعر المتنبـي (أطروحة دكتوراه) ، جليل رشيد فالح ، اشراف أ.د. احمد مطلوب، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1405هـ - 1985م .
- الصورة في النقد الأوربي، عبد القادر الرباعي ،مجلة المعرفة السورية العدد:204 شباط لسنة:1979م :145، و العقل في الشعر بين التشبيه والاستعارة 0
- ضرورة الفن، ارنست فيشر، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1971
- فاعلية الكناية في النقد المعاصر، أنمار إبراهيم أحمد ، المطبعة المركزية جامعة ديالى ، ط/1 ،2012 م0
- فن الاستعارة ، الدكتور احمد عبد السيد الصاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب1979 0
- في الشعرية :الدكتور كمال أبو ديب: مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت ،ط1 ، 1987م 0
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي،مراجعة محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان،2010م،0
- القرآن والصور البيانية، د.عبد القادر حسين، عالم الكتاب للطباعة والنشر ،ط:2، 1985م
- كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (175هـ) تحقيق، الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، بيروت لبنان ط:1 ،19880
- الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن علي أمين أحمد ، المكتبة الفيصلية 1405هـ -1985م 0
- الكناية في شعر البردوني ديوان (السفر إلى الأيام الخضر) أنموذجاً دراسة سيميوطيقية ، عبد الله حمود الفقيه، دار الحداثة: بيروت، ط7 0
- لسان العرب ،ابن منظور(ت711هـ) ، طبعة جديدة محققة ، دار صادر بيروت 2011م ، مادة (شَكَلَ) 0
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد -1993 0
- اللغة بين الأدب والحداثة –الحداثة والتجريب: جاكوب كورك، ترجمة ليون يوسف، وعزيز عما نوئيل ، دار المأمون للترجمة والنشر، دار الحرية للطباعة،بغداد، 1989 0
- المقاربة السيميائية للنص الأدبي - أدوات ونماذج -، عبد الجليل منقور، ضمن كتاب السيمياء والنص الأدبي (محاضرات الملتقى الوطني الأول)، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، 2000 0
- من الأدب الروائي – زيد الشهيد – دار الشؤون الثقافية – 2008 0
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د0 صلاح فضل ،بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة ،ط/3، 1987م 0
- النقد الفني، نبيل راغب، دار مصر للطباعة، الإسكندرية، د. ت.

- النكت في إعجاز القرآن : الرماني (386هـ) تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة (د0ت) 0